مجلة علوم اللغة العربية
المجلد ٤، العدد ١٢، السنة ٢٠٢٦، الصفحات ٩١-١٠٥
ISSN: ٣٠٦٠-٥٥٨x ----- E-ISSN: ٣٠٦٠-٥٥٩٨
تاريخ الإرسال: ٢٠٢٦/٠١/١٠ - تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٠٧/٣٠

Utilizing Educational Values in Children's Poetic Discourse: A Study in the Works of Hussein Atiyyah Al-Sultani

Ahmad Mohammad Mohiisen
Master's student in Arabic Language and Literature, Tarbiat Modares University, Tehran, Iran
ahmed.mohammed.١٩٧٦٦@gmail.com
Yousef Motaqiannia*
PhD in Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran
joseph.mitaghi@gmail.com

Abstract

Educational values derive their significance from being the foundational building blocks in shaping an individual's personality, representing a set of principles and behaviors that generations are expected to uphold. These values have prominently emerged in poetic and literary experiences, particularly in addressing children and refining their upbringing. This study aims to analyze educational values in selected samples of Hussein Atiyyah Al-Sultani's poetry, employing the descriptive-analytical method to trace and interpret value-based phenomena within the texts, with the goal of uncovering their educational content and mechanisms of employment. The most prominent educational values in Al-Sultani's poetry included religious values such as monotheism, love for Islam and the Qur'an, knowledge of the Prophet and his household, prayer, alongside social values such as family cohesion, kinship ties, neighborly rights, patriotism, and love for knowledge, teachers, the book, and school. The poet employed multiple mechanisms including repetition and light rhythm, personification, metaphor, sensory imagery, direct affectionate address, cognitive gradation, role-model linking, storytelling, and symbolization, which brought values closer to the child's psyche, facilitated memorization, and left a lasting impact on their consciousness.

Keywords: Educational Values, Religious Values, Children's Poetry, Poet Hussein Atiyyah Al-Sultani.

توظيف القيم التربوية في الخطاب الشعري الموجه للأطفال: دراسة في أعمال حسين عطية السلطاني

أحمد محمد محيسن
طالب ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة تربيت مدرس تهران، إيران
ahmed.mohammed.١٩٧٦٦@gmail.com
يوسف متقيان نيا*
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
joseph.mitaghi@gmail.com

ملخص

تكتسب القيم التربوية أهميتها من كونها اللبنة الأساسية في بناء شخصية الفرد، فهي تمثّل مجموعة المبادئ والسلوكيات التي يُراد للأجيال أن تنشأ عليها. وقد برزت هذه القيم في التجارب الشعرية والأدبية ولاسيما في مخاطبة الطفل وتقويم تنشئته. وتبرز أهمية هذا البحث في كونه يتناول شعر الأطفال بوصفه وعاءً أدبياً حاملاً لهذه القيم، لما له من خصائص إيقاعية ونفسية تجعله مؤثراً في تكوين الطفل. ويهدف البحث إلى تحليل القيم التربوية في نماذج مختارة من شعر حسين عطية السلطاني، متّبعاً المنهج الوصفي-التحليلي لتتبع الظواهر القيمية في النصوص وتحليلها، بهدف الكشف عن مضامينها التربوية وآليات توظيفها. وتمثّلت أبرز القيم التربوية في شعر حسين عطية السلطاني في القيم الدينية مثل التوحيد، حب الإسلام والقرآن، معرفة النبي وأهل البيت، الصلاة والقيم الاجتماعية مثل الترابط الأسري، صلة الرحم، حق الجار، حب الوطن، حب العلم والمعلم، وقد اتّسمت بالتكامل والانسجام. وقد وظّف الشاعر آليات متعددة منها التكرار والإيقاع الخفيف، والتشخيص والاستعارة والتصوير الحسي، والنداء المباشر والتدرج المعرفي والربط بالأسوة، والسرد القصصي والترميز، ممّا جعل القيم قريبة إلى نفس الطفل وسهلة الحفظ والمؤثرة في وجدانه. وتبيّن أنّ شعره نموذجاً رائداً في أدب الطفل، إذ أثبت قدرة الشعر على أن يكون أداة فاعلة في التربية العقدية والاجتماعية، قابلاً للاستثمار في تطوير المناهج التربوية والأدبية.

الكلمات المفتاحية: القيم التربوية، القيم الدينية، شعر الطفولة، الشاعر حسين عطية السلطاني.

١. المقدمة

إنّ مرحلة الطفولة من أهم المراحل العمرية التي يمرّ بها الإنسان، لما لها من دور جوهري في تشكيل شخصية الفرد، وتحديد ملامح سلوكه المستقبلي، ومن ثمّ تأثيرها المباشر في بناء المجتمعات واستقرارها. وتولي الأمم والمؤسسات التربوية اهتماماً بالغاً بغرس القيم الأخلاقية والتربوية في نفوس الأطفال، باعتبارها الركيزة الأساسية لتكوين جيل واعٍ ومنضبط، وقد حثّ الإسلام على العناية بهذه المرحلة وجعلها ميداناً لاكتساب الخبرات والمهارات والأخلاق، حتى قال الإمام على عليه السلام: «العِلمُ مِنَ الصِّغَرِ كالنَّقشِ في الحَجَرِ» (المجلسي، ١٤٠٣ق، ج١٣: ٢٢٤). فتظهر هذه المرحلة كنقطة إنطلاق غرس القيم التربوية. ويبرز الشعر كأحد أبرز الوسائل التربوية المؤثرة في تشكيل وجدان الطفل، لما يمتلكه من خصائص إيقاعية، وجماليات لغوية، وقدرة على التقريب بين المعاني المجرّدة والمشاعر الإنسانية، مما يجعله وعاءً مناسباً لحمل القيم ونقلها إلى عقل الطفل وقلبه معاً، إذ تبقى الكلمات والعبارات الموزونة أقرب إلى نفسية الطفل من الكلام النثري.

من هنا تسعى هذه الدراسة إلى رصد القيم التربوية في الخطاب الشعري الموجه للأطفال عند حسين عطية السلطاني، وتصنيفها وفق مجالاتها الدينية والخلقية والاجتماعية والوطنية والمعرفية، مع تحليل آليات توظيف هذه القيم في النصوص الشعرية من حيث البناء اللغوي والصور الفنية والتنغيم الإيقاعي وأساليب التوجيه والإقناع، وذلك للكشف عن خصوصية السلطاني في معالجة القيم التربوية، ومدى ملاءمة خطابه الشعري للمراحل العمرية التي يخاطبها. وقد اعتمدت الدراسة المنهج-الوصفي التحليلي بأدواته المعروفة من وصف وتحليل وتفسير، وذلك من خلال حصر القيم التربوية في مجموع الشعر الموجّه للأطفال لدى السلطاني، وتحليل عيّنة قصصية من قصائده تمثّل مختلف مضامينه وأغراضه. وتنبع أهمية هذه الدراسة من تركيزها على أعمال الشاعر العراقي حسين عطية السلطاني، الذي يُعدّ من الرواد في مجال شعر الطفل، إذ أنتج تجربة شعرية بالمعاني التربوية، فبذلك تسدّ الفجوة البحثية في الدراسات العربية التي تتناول شعر الطفل من منظور تربوي تحليلي منهجي، في مراجعة أعمال هذا الشاعر. على قرار ذلك تحاول الدراسة الإجابة عن السؤاليين التاليين:

- ما أبرز القيم التربوية للشعر الطفولي في نصوص حسين عطية السلطاني؟
- ماهي الآليات التي وظفها حسين عطية السلطاني آليات لايصال هذه القيم للأطفال؟

١-١. خلفية البحث

لقد اهتمّ الكثير من الباحثين بشعر الطفولة، ونذكر منهم:

تناول هاجر الهايى سحر وآخرون في دراستهم الموسومة بـ «دراسة مقارنة عن القيم التربوية والاجتماعية في نشيد الأطفال لدى عبدالقادر السائحي و مصطفى رحماندوست» الصادرة في مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها (١٤٣٨)، وتوصلوا إلى أنّ أناشيد الشاعرين تتشارك في غلبة الطابع التعليمي التربوي على الجانب الترفيهي، مع حرصهما على تقديم القيم الأخلاقية والمفاهيم التربوية في قالب لغوي سلس وعذب يلائم نفسية الطفل ويؤثّر في بناء شخصيته.

تناولت دلال كاظم عبيد في دراستها الموسومة بـ«القيم التربوية عند الإمام الشافعي من خلال شعره» الصادرة في مجلة البحوث التربوية والنفسية (٢٠١٦). وأثبتت الدراسة أن فكر الشافعي التربوي

المستند إلى القرآن يشكّل نظرية أصيلة قابلة للتطبيق في واقعنا التربوي، في حين تعاني التربية الحديثة من أزمات بنيوية تستدعي الاستفادة من هذا التراث في إعادة بناء المناهج وتعزيز مقومات الأمة الروحية والمعنوية.

تناول كرباع علي في في دراسته الموسومة بـ«القيم الروحية والتربوية في شعر عمر بهاء الدين الأميري» الصادرة في مجلة شهاب (٢٠٢٢). وفي الدراسة أن الأميري وظّف شعره السياسي الملتزم رسالة تبليغية عن الإسلام، جسّد فيها القيم الروحية والتربوية المستمدة من الكتاب والسيرة، مما جعل أدبه نموذجاً للأدب الإسلامي الذي يجمع بين المتعة الفنية والغاية التوجيهية.

تناولت دعاء ثامر حميد في رسالتها الموسومة بـ«شعر الطفولة في العراق من ٢٠٠٣م – ٢٠١٥م» كلية التربية للبنات (٢٠١٦). وركّزت الباحثة على تحليل الموضوعات الفنية والرمزية التي ظهرت في هذا الشعر، ودرست تفاعل الشعراء مع واقع الطفولة في ظل التحديات التي واجهها العراق. كما تضمنت الرسالة تحليلاً للصور الفنية، واللغة المستخدمة، والرموز التي تعكس هموم الطفولة، مثل: الحرمان والخوف، واستعرضت كيف سعى الشعراء إلى تقديم محتوى يُسهم في بناء وعي الأطفال. ولم تركز الدراسة على القيم التربوية كما تقوم هذه الدراسة وتتشابه في طرح الصور الفنية و تأثيرات اللغة الشعرية.

من الواضح أن الدراسات السابقة لعبت دوراً أساسياً في الجانب النظري والمبادئ العامة للقيم التربوية، غير أن هذا البحث يتميّز بجِدّةٍ لأنه أوّل دراسة منهجية تتناول تجربة الشاعر العراقي المعاصر حسين عطية السلطاني في شعر الطفولة.

١-٢. وقفة مع الشاعر؛ حياته وأعماله

ولد حسين عطية السلطاني عام ١٩٦١م في محافظة بابل. وعكف على الدراسة بجدّ حتى حصل على شهادة الدبلوم من دار المعلمين عام ١٩٧٩م، ثم حصل على شهادة البكالوريوس من كلية التربية في جامعة المثنى عام ٢٠١٠م، وتابع دراسته حتى نال شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من كلية التربية في جامعة المثنى عام ٢٠١٦م، وأخذ شهادة الدكتوراه من كلية التربية في جامعة القادسية عام ٢٠١٩م. وفي التجربة الشعرية سطع اسم حسين عطية حيث صار عضوا في الإتحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق، وبدأ كتابة الشعر عام ١٩٧٨م، وكانت أول قصيدة كتبها بعنوان: ستبقى سراجاً، ونُشرت قصائده في العديد من الصحف والمجلات، وصدر له العديد من المجموعات الشعرية، منها: رذاذ الشلال، وأناشيد الطفولة، زهور الربيع، أزهار وعصافير، نظافتي (عبيد، ٢٠٢٢م: ٨١-٨٢). فاهتم السلطاني بشعر الطفولة في دواوينه وبحوثه المنتشرة.

٢. الإطار النظري

١-٢. مفهوم القيم التربوية لغةً واصطلاحا

يتشكّل مفهوم القيم التربوية من لفظي القيم والتربوية، فلا بدّ أن يتمّ مراجعة كل لفظ باللغة والمصطلح وثمّ جمعهما وبيان المراد منهما. فالقيم مفردها قيمة اسم من الفعل قام بمعنى وقف واعتدل وانتصب واستوى، وقد ورد في الصحاح أنها الاستقامة، أي اعتدال الشيء واستواؤه، كما تأتي بمعنى الثمن الذي يقوم به المتاع أي يقوم مقامه، ومنه قولهم قوّمت المتاع أي جعلت له قيمة (الرازي، ١٩٨٢م: ٥٥٧). وتأتي القيمة أحياناً بمعنى الفائدة والمنفعة، فتتنوّع بحسب مجالاتها إلى:

قيم مادية كقيمة الهواء والماء، وقيم ثقافية كقيمة العلم، وقيم روحية كقيمة الصلاة والزكاة والصوم (فوزية، ١٩٦٦م: ٢٠). وأما من الجانب الاصطلاحي فهي «المبادئ والمعتقدات الأساسية، والمُثل، والمقاييس، أو أنماط الحياة التي تعمل مرشداً عاماً، أو نقاط تفضيل في صنع القرار، أو لتقويم المعتقدات والأفعال، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسمو الخُلقي والذاتي للأشخاص» (أيوب، ٢٠٠٣م: ١٣). لذلك فإنّ القيم ترشد الفرد نحو السلوك الأفضل والسمو الأخلاقي وتبرز المثل العليا في المجتمع البشري.

وأما التربوية فمأخوذة من التربية، وهي في اللغة «رباه تربية أي غذاه وهذا لكل ما ينمى كالولد والزرع ونحوه» (الرازي، ١٩٨٢م: ١٢٧). ورباه تربية أي احسن القيام عليه، ووليه حتى يفارق الطفولية، كان ابنه أو لم يكن(ابن منظور، ١٤٠٥ق، ج١: ٤٠١). وأما التربية في المصطلح فهي «عملية ذات نظم وأساليب متكاملة، تنبع من التصور الإيماني لحقائق الألوهية والكون والإنسان والحياة، وتهدف إلى إعداد الإنسان للقيام بحق الخلافة في الأرض، وذلك عن طريق إيصاله إلى درجة كماله التي هيأه الله لها» (السعدي، ٢٠١٣، ج١: ٣٧). من هنا تكون القيم التربوية واحدةً من أهم المعايير والمبادئ المؤثرة في سلوك الأفراد والمجتمعات. وغرس هذه القيم في مرحلة الطفولة المبكرة يساعد على ترسيخها في الإدراك، لتكوّن شيئاً متأصّلاً في الذات، يُسهم في بناء شخصية متوازنة وفاعلة في المجتمع. ويمكن تعريف القيم التربوية بأنها: «كل صفة ذات أهمية لاعتبارات نفسية أو أخلاقية، وتتسم بسمة الجماعية في الاستخدام (يوسف، ٢٠٠٢م: ١٦٢). كما تُعرّف أيضاً بأنها: «أحكام عقلية مجردة، يصدرها الفرد على الأشياء أو المواقف أو الأشخاص، لتُحدّد علاقته وطريقة تعامله مع موضوع القيمة» (صوالحة، ٢٠٠٣م: ١٦٨). لذلك توظف الحكومات العقول والمواهب لتنمية القيم التربوية في مجتمعاتها. وتؤدي القيم دوراً محورياً في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي للأفراد، من خلال توجيه السلوك وضبطه وفق ما يقرّه الدين والأعراف والتقاليد، كما تسهم في ربط مكونات الثقافة بعضها ببعض، وتمنحها بُعداً عقلياً يستقر في وجدان الأفراد المنتمين إلى المجتمع، فتصبح بذلك موجّهاً لسلوك الفرد وتفاعله مع محيطه (حليمة، ٢٠١٥م: ٤٦). وتتنوّع مصادر القيم بشكل عام، فهي تنبع من الأعراف والتقاليد والعادات التي يتبناها المجتمع، فضلاً عن المعتقدات الدينية التي يعتنقها الفرد ويجعلها منهجاً لحياته، وباختلاف هذه المعتقدات والأعراف والعادات تختلف منظومة القيم الخاصة بالأفراد والمجتمعات (الديب، ٢٠٠٦م: ٤٥)، إذ نجد القيم السائدة في المجتمعات الإسلامية تختلف عن تلك السائدة في المجتمعات الغربية، لأن القيم ليست سوى انعكاس لطريقة تفكير أفراد المجتمع وثقافتهم السائدة.

٣. الجانب التطبيقي

سبق وأشرنا أنّ للقيم مصادر متعددة وبذلك ظهرت تصنيفات متعددة للقيم؛ ومن أبرز تلك التصنيفات القائمة على محتواها؛ وهي تقسيم القيم إلى قيم دينية، وقيم اجتماعية، وقيم سياسية، وقيم اقتصادية، وقيم معرفية، وقيم جماليّة (مجموعة مؤلفين، ٢٠١٩م: ٢٣). ومن هذا المنطلق أخذت الدراسة هذه مراجعة القيم التربوية الدينية والاجتماعية فقط. علاوة على ذلك يرى المدقق في دواوين السلطاني أنّ القيم التربوية شكّلت هاجسا كبيرا لديه في شعره للأطفال، وسيتبيّن بأنه أخذ هذه القيم من موروثه الديني وثقافته الإسلامية.

٣-١. توظيف القيم التربوية الدينية

مما لا شك فيه أنّ القيم الدينية تمهّد الأرضية المناسبة لتعالي الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة، علاوة على ذلك يلعب الدين دورا كبيرا فيتقويم البشر وأنّه العامل الذي يمنح الإنسان معناه الحقيقي وإنسانيته، وهو الحلّ الأنجع لفلاحه، لذا لا بدّ من إيجاد أساليب وسبُل مناسبة بغية تعليمه المفاهيم الفاعلة والباقية لأجل تربيته تربية دينية وترسيخ الالتزام في ذاته؛ وبالطبع فإنّ أفضل وأروع منهج على هذا الصعيد وأكثرها تأثيراً يتجسّد في اللغة الشعرية السهلة. ومن قديم الزمان كان المسلمون يهتمون بهذه القيم التربوية ويجعلونها من الأسس الحميدة للمجتمع. وقد ورد في نهج البلاغة عن سيد البلغاء أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: «أفضلُ الأصحابِ حُسنُ الخُلق، وأفضلُ الميراثِ الأدب، ولا قرينَ كحُسنِ الخلق، ولا ميراثَ كالأدب» (ابن أبي الحديد، ١٤٠٤ق، ج٤: ٢٧). فمن خلال ما تقدّم، يتبيّن الدور الكبير الذي تلعبه القيم التربوية الدينية في تربية الفرد، خاصةً إذا كانت موجهة لأهم شريحة في المجتمع، وهي شريحة الأطفال. لذا نرى الشعراء قد أخذوا على عاتقهم هذه المسؤولية، وقدموا لنا قصائد تحمل الكثير من المعاني الدينية، ومنها ما جاء في شعر حسين عطية السلطاني.

٣-١-١. التوحيد

لا شك في أنّ توحيد الله تعالى أهمّ مبدأ في العقيدة الإسلامية، والأساس الذي تقوم عليه سائر المعتقدات والعبادات، وتكمن أهمية تعليم هذا المبدأ للأطفال في كونه يزرع في نفوسهم منذ الصغر الإحساس بوجود خالق عظيم يدبّر الكون، ويمنحهم الايمان والعقيدة، ويوجّه سلوكهم نحو الخير والصلاح. وقد أشارت الآية القرآنية إلى أن التوحيد فطرة إلهية غُرِست في أعماق الإنسان: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم: ٣٠)، غير أن هذه الفطرة قد تغشاها غبار النسيان والانحراف بفعل التربية الخاطئة أو التلقين الأجوف، لذلك مهمة المربّين والشعراء إعادة صقل هذه الفطرة وإيقاظها لدى الطفل، بما يتناسب مع مداركه العمرية وقدراته الذهنية، وهذا ما يؤكّده المختصون في التربية التوحيدية من أن أحد الأصول الأساسية في التربية التوحيدية هو مراعاة التناسب بين التربية وسَعَة المُدرَك لدى الطفل، فلا يُكلّف بما لا يطيق فهمه، بل يُعطى من المعاني ما يتناسب مع مرحلته العمرية، ثمّ يُزاد تدريجياً (باقري، ١٣٨٨ش: ١٧٤). ومن هذا المنطلق، كان شعر السلطاني للأطفال نموذجاً تطبيقياً لهذا المبدأ، إذ قدّم معاني التوحيد في قوالب شعرية قصيرة وإيقاعات خفيفة، تناسب سنّ الطفولة وتُحفّز فطرتهم السليمة على معرفة الخالق بأسلوب شيّق وممتع.

وقد تجلّى مفهوم التوحيد في شعر حسين عطية السلطاني من خلال قصيدة ذكر فيها صفات الله تعالى، حيث قال: «**أحدْ أحدْ أحدْ / اللهُ واحد أحدْ / هو الإلهُ المرتجى / وبارئُ الخلقِ الصمدْ / في الكونِ ليس مثله / ولا شبيهُ أحدْ / ولا له من صاحبٍ فيها ولا له ولدْ / فعرشهُ فوقَ العُلا / ونورهُ إلى الأبدْ / منزّهٌ في ذاتِهِ / عن كلّ نقصٍ يُعتقدْ / فلم يلدهُ والِدٌ قطٌّ ولم يلدْ أحدْ**» (السلطاني، ٢٠٠٨م: ١). ويتناول الشاعر في هذا النص أهم عقيدة في الدين الإسلامي، وهي توحيد الذات المقدّسة، وبعض صفاتها التي تفرّد بها دون الخلق، فهو أحد وواحد بمعنى المتفرّد الذي لا نظير له في العلم والقدرة والرحمة وفي جميع الصفات (مكارم الشيرازي، ١٣٧٩ش، ج١٥: ١٠٢). وقد وظّف

الشاعر آلية التكرار والإيقاع الموسيقي لتبسيط هذه العقيدة، إذ كرّر كلمة أحد لتثبيت المفهوم في ذهن الطفل عبر الجرس الموسيقي العذب، وآلية التدرج في عرض صفات الله، حيث بدأ بإثبات الأحدية، ثمّ الصمدية، ثمّ التنزيه عن النقص، ثمّ نفي الصاحبة والولد، وصولاً إلى علوّ العرش ونورانيته، كل ذلك في بناء شعري متكامل يُناسب مدارك الطفل المتدرجة. كما استمدّ الشاعر روح التوحيد من القرآن الكريم، فجعله منهجاً للحياة ومعارف واضحة، وحرص على غرس هذه العقيدة في نفوس الأطفال بأسلوب موسيقي ناعم، بعيداً عن التعقيدات التفسيرية والمناقشات الفلسفية، بل من خلال حفظ الأسماء المباركة في مقطوعة موسيقية جميلة، تُقرّب المعنى وتُسهّل التلقّي. علاوة على ذلك تركّز قصيدة السلطاني على اسم الجلالة (الله) وعلى الأسماء الحسنى، إدراكاً منه لأهمية هذا اللفظ في حياة الإنسان، وخصوصاً الأطفال، إذ هو «اسمٌ يُنير القلب، ويبعث في الإنسان الطاقة والطمأنينة، ويغمر وجوده صفاءً ونوراً» (المصدر نفسه). وقد وظّف الشاعر آلية النغم الشعري والأوزان الخفيفة، لأن الأطفال مولعون بالشعر والأناشيد الموزونة، فجعل أناشيده القصيرة والبسيطة أداة فعّالة في نقل رسالة التوحيد، إذ تثبت في الذهن بسرعة، وتقدّم المعنى بشكل ترفيهي شيّق. وبهذا مزج شعر السلطاني الذي بين الآيات والعبارات القرآنية السهلة والقصيرة مع الجرس الموسيقي الجميل، لتكون سهلة الحفظ والتداول، وتعليمية ممتعة، ممّا يُحقق التوازن بين التوجيه التربوي والجمال الفني، ويؤكّد قدرة الشعر على أن يكون وسيلة فاعلة في التربية العقدية للأطفال.

٣-١-٢. حب الإسلام والقرآن

يتّخذ الشاعر من الإسلام ركيزة أساسية لبناء كيان الطفل، فيقدّمه في قصيدته الإسلام الغالي بوصفه أغلى من الأوطان والأرواح، حيث يقول: «**إسلامنا غالي / أغلى من الأوطان / وربّنا العالي / أهدى لنا القرآن / إسلامنا غالي / أغلى من الأرواح / نشمّه عطراً / نشتاقه قَدّاح**» (السلطاني، ٢٠٠٨م: ٩). وفي هذه المقطوعة، يُجري الشاعر مقارنة ذات أبعاد فكرية، إذ يضع الإسلام في مرتبة تعلو على الانتماءات الوطنيّة، ويجعل العقيدة هي المعيار الأسمى في حياة الإنسان، وهو ما يتماشى مع النظرة الإسلامية الأصيلة التي تؤكّد أن التفاضل بين الناس إنما يكون بالتقوى والعمل الصالح، كما ورد في حديث الإمام الصادق (عليه السلام): «الناس من آدم، خلق الله آدم من طين، فحباهم بالتقوى، وجعل التفاضل في الدين والعمل الصالح» (الحر العاملي، ١٣٨٩ش، ج١١: باب استحباب التواضع). وفي مقابل هذه النظرة، يرى بعض الناس أن الوطن هو المعيار الأوّل، وهي نظرة قومية لا تجعل الدين أساساً للهوية، غير أنّ السلطاني يسعى إلى غرس النظرة الأولى في نفوس الأطفال، ليكون الإسلام هو الأغلى من الأوطان والأرواح ومن كل نفيس.

وقد وظّف الشاعر في هذا النص آلية التكرار والتوكيد، إذ كرّر جملة «إسلامنا غالي» مرتين لتثبيت القيمة في ذهن الطفل، وأما الناحية الأدبية فإن دور التكرار فيها متعدد «وإن كان الهدف منه فى جميع مواضعه يؤدى إلى تأكيد المعانى وإبرازها فى معرض الوضوح والبيان»(الخالدي، ١٤٢٨ق: ٥٦٨). والمفاضلة بالمحسوسات، حيث وضع الإسلام في مقارنة مع الأوطان والأرواح ليُوصله إلى مرتبة أعلى، والصور الحسّية، إذ وصف الإسلام بأنّه «عطر» و«قدّاح» ليُشعر الطفل بوجوده المحسوس في حياته. كما يُرسّخ الشاعر مفهوماً مهماً، وهو أن حبّ الوطن يكون من منطلق الدين والعقيدة،

فلا تعارض بينهما، وينبغي أن يكون الانتماء الديني هو المُوجِّه والوطن هو المحضن الحافظ للعقيدة، وقد قدّم هذه القيم من خلال لغة واضحة وسهلة، تنبض بالنغمة الشجية والفكرة الغنية، ممّا يجعلها قريبة إلى نفس الطفل، وتُحقّق هدفها التربوي في تثبيت أولوية الإسلام في قلبه، مع تعزيز الانتماء الوطني في إطاره الشرعي الصحيح.

٣-١-٣. معرفة رسول الله (ص) وأهل البيت عليهم السلام

إنّ محبة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) من أولويات القيم التربوية الدينية للطفل، فهي من أسمى القيم التي ينبغي غرسها في النفس منذ الصغر، إذ تمنح الطفل القدوة الحسنة، وتربطه بالفيض الإلهي. وقد أدرك السلطاني هذه الأهمية، فأفرد للتعريف بالنبي وأمه ومرضعته قصيدة «الأم والمرضعة»، حيث يقول: «**جاءت لنا آمنة / رحمةٍ كونيّةٍ / فخرُ الوجودِ كلِّهِ / بالصفة الزكيّة / حتى نما فأرضعتْ (حليمة السعدية) / ثغرَ الكريمِ عفّةً / رضاعةً نقيّةً / واهبةً حنينها / لأجله هديّةً / حفيّةً بأصلها / وبالهدى مهديهْ / فالله قد كرّمها / مع أمّه الوفيّةْ / في جنّةٍ تفتّحتْ / رخيّةٍ عليّه**» (السلطاني، ٢٠٠٨م: ٤٢). وفي هذا النص، يوظّف الشاعر آلية السرد القصصي، إذ يروي قصة النبي (ص) من خلال النساء اللواتي أحطن به: أمّه آمنة، ومرضعته حليمة السعدية، فيُعرّف الطفل على السيرة النبوية بأسلوب شيّق، ويربط القدوة بالحب والتقدير، بإبراز تكريم الله لهما، مما يُعزّز في نفس الطفل حبّ النبي والاقتداء به، كما يستحضر قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، ليُرسّخ أن النبي هو القدوة المثلى التي اختاره الله جل جلاله، وقد قدّم ذلك في صورة شعرية يسهل فهمها وحفظها.

من جانب آخر، يوظّف الشاعر القيم التربوية في نشر معارف النبي وتبيين وصاياه، كما في قصيدة «سفينة النجاة»: «**قال الرسول المصطفى / والهدي من ربّ الفلقْ / أهلي سفينةٌ فمن / قال بقولي قد صدقْ / فراكب فيها نجا / ومن تخلّفِ غرقْ / فامشوا على حدّ الرؤى / فمن تقدّم مَرقْ**» (السلطاني، ٢٠٠٨م: ١٦). وفي هذه الأبيات، يسعى الشاعر إلى ترسيخ عقيدة التمسّك بأهل البيت (عليهم السلام) في نفوس الأطفال، ليكونوا جيلاً متسلّحاً بالعقيدة لا تغرقه أمواج الأفكار المنحرفة، مستنداً إلى حديث السفينة المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تعلّق بها فاز، ومن تخلّف عنها غرق» (الطبري، ١٤٢٧ق، ج١: ٢٠). وقد وظّف في ذلك آلية الاستعارة، إذ جعل أهل البيت سفينة نجاة، وآلية الثنائيات المتضادة (نجا/غرق) لتثبيت الحتمية العقدية في ذهن الطفل، ومن الناحية التأثيرية تعبر الثنائيات عن توترات الواقع، ومعاناة الوجود، ويؤثر الجمع بين المتضادين في وجدان المتلقي، وترتبط الثنائيات الضدية ارتباطاً وثيقاً بالوجود والمشاعر الإنسانية، وصفاء النفس، وهذا لا يصدق على الإحساسات والإدراكات والصور العقلية فحسب، بل يصدق على جميع حالات الشعور كاللذة والألم والتعب والراحة. فالحالات النفسية المتضادة يوضح بعضها بعضاً وبضدها تتميز الأشياء، وقانون التضاد أحد قوانين التداعي والتقابل (الديوب، ٢٠١٧م: ٢٠-١٩). وقد وظف ذلك السلطاني لتقوية النشاط الفكري والذهني عند الطفل المتلقي الذي يقرأ الشعر ويدرك مفاهيمه. ويتبيّن من الآيات والروايات أن محبة النبي وأهل بيته من أعلام الإيمان وأسباب القرب إلى الله، كما ورد أن «محبة النبي من بر العبادات، ومن رسخت هذه المحبة في قلبه عاش بالطمأنينة، لأنهم أكرم الخلق

عند الله، ومحبتهم سبب للفلاح والتقرب إلى الله وقبول الأعمال» (مجموعة من المؤلفين، ١٤٢٩ق، ج٣: ٤٣٥). فالشاعر بهذا يقدّم أهل البيت كدعامة أساسية وسفينة نجاة لحياة الطفل في الدنيا والآخرة، بأسلوب يجمع بين المتعة الفنية والغاية التربوية.

٣-١-٤. معرفة الصلاة وأهميتها

أولى الإسلام اهتماماً بالغاً بتربية الطفل على أداء الصلاة منذ سن مبكرة، كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إنّا نأمر صبياننا بالصلاة إذا كانوا بني خمس سنين، فمروا صبيانكم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين» (الحر العاملي، ١٣٨٩ش، ج٤: ١٩)، وهو ما يؤكد ضرورة ترسيخ هذه الفريضة في نفس الطفل وتكوين عادة الالتزام بها قبل سن التكليف. وقد استلهم الشاعر حسين عطية السلطاني هذا التوجيه النبوي، فجاءت قصيدته «محراب الدعاة» لتكون أداة تربوية فاعلة في حثّ الأطفال على الصلاة، حيث يقول: **«قُمْ بُنَيَّ اليومَ لُطْفاً / واستبقني للصلاة / فهي أُسُّ الخير تبقى / وهي محراب الدعاة / واشرب التوحيد منها / عبر أقداح السقاة»** (السلطاني، ٢٠٠٨م: ٢٨). وقد وظّف الشاعر آلية الخطاب المباشر باستخدام بنيّ، ممّا يُشعر الطفل بالحنان والاحتواء ويُحوّل الصلاة إلى انبثاق محبّة ورغبة ذاتية، كما وظّف آلية التشبيه الاستعاري المجازي من خلال صورة اشرب التوحيد وأقداح السقاة، إذ جعل الصلاة شراباً روحياً يروي عطش القلب، ممّا يُضفي على العبادة معنى الحيوية والمتعة والاستمرار، ويُقرّبها إلى حس الطفل في قالب شعري خفيف سهل الحفظ. كما يؤكد الشاعر في هذه القصيدة على أن الصلاة هي عمود الدين وأُسّ الخير، وهي الحصن المنيع الذي يقي الإنسان من الوقوع في المعاصي، فهي أول ما يُحاسب عليه العبد، فإن قُبلت قُبل ما سواها، وإن رُدّت رُدّ ما سواها. وهكذا نجح السلطاني في توظيف اللغة الشعرية السهلة ذات الإيقاع الجميل لجعل الصلاة قريبة من نفس الطفل، ممّا يُحقّق التوازن بين المتعة الفنية والغاية التربوية، ويُؤسّس لنشأة دينية متكاملة.

٣-٢. القيم التربوية الاجتماعية

تصنف القيم الاجتماعية من أهم المرتكزات التي تنظّم العلاقات بين الأفراد في المجتمع، فهي تمثل مجموعة القوانين والأعراف التي تُحدّد سلوك الإنسان وتوجّهه نحو التعامل الإيجابي المبني على الاحترام والتقدير. وتكمن قيمة الإنسان في مدى احترامه للآخرين، فكلما كان الفرد سويّاً صالحاً، زاد تقدير المجتمع له. وقد ورد في تعريفها أنها «أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد، وتُحكم تفكيره وسلوكه، وتؤثر في تعلّمه» (بدوي، ١٩٩٣م: ٣٧). وستظهر هذه القيم في محاور متعددة، تتناول الترابط الأسري، وصلة الرحم، وحق الجار، وغيرها من القيم التي تُشكّل نسيج المجتمع المتماسك.

٣-٢-١. الترابط والتكافل الأسري والاجتماعي

يحتاج الطفل إلى أن يتعلم كيف ينبغي أن يسلك تجاه الوالدين والأسرة، فالاجتماع الأسري هو أول اجتماع يدخل فيه الطفل وأهمّه طبعاً، إذ تمثّل الأسرة اللبنة الأولى في بناء المجتمع ونظامه. وقد أولى الشاعر حسين عطية السلطاني هذا الجانب اهتماماً كبيراً، فجسّد أهمية الأسرة في قصيدته التي يقول فيها: **«يا أسرتي يا أسرتي / أنتم بها أحبّتي / وفي السّرورِ جنّتي / ومتعتي وروضتي / وفي الطّيوبِ نسمتي / وفي الغروبِ شمعتي / وإنْ جلسنا كلّنا / فتلكَ آيُ فرحتي / ثغري يقولُ عندها**

/ أهدي إليكم قبلتي / وفوقها من مهجتي / ومن ضياءِ مقلتي / حتى أراكم بسمةً / فوقَ شفاهِ بهجتي / فيها وجدتُ بينكم / روحي و أنس راحتي / فارحمْ إلهي دائمًا / أمي وكلَّ إخوتي / وزِدْ عليهم نعمةً / بالخيرِواحفظْ أبني» (السلطاني، ٢٠٠٨م: ٢٢). وفي هذه القصيدة، يُجسّد الشاعر الأسرة باعتبارها الكيان المتماسك الذي يشبه برلماناً مصغّراً تحكمه القوانين والتشريعات، يُصدرها الرئيس ونائبه - أي الأب والأم - وتُطبّق على جميع الأفراد باحترام وتكافؤ. كما يشير إلى الفرح والطمأنينة التي تسود البيت حين تجتمع الأسرة، حيث يُغدق الكبار على الصغار من معين التجارب والقيم والمبادئ، وتبقى هذه المشاهد راسخة في ذاكرة الأطفال لتؤثّر لاحقاً في سلوكهم الاجتماعي بشكل إيجابي وتلقائي. وقد وظّف الشاعر في هذا النص آلية النداء المباشر وتكراره «يا أسرتي» لإشعار الطفل بالانتماء والحب، والصور الحسّية كالجنّة والروضة والنسمة والشمع، لتقريب المعنى وإضفاء الدفء العاطفي على العلاقة الأسرية، والدعاء في خاتمة القصيدة لتعزيز روح التكافل والمحبّة. وبذلك يريد الشاعر توظيف فعالية الأسرة والبيت فإن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء، والمربي ينقش على هذه الصفحة البيضاء ما يشاء، وعليه يكون التعلم متدرجا تبعا لإمكانيات الطفل الجسمية والعقلية.

ومن منطلق هذه الأهمية، يعكس الشاعر دور الأقارب في حياة الإنسان، ليحثّ على روح التعاون والمحبة في الكيان الأسري والمجتمعي، حيث يقول في قصيدة «أقاربي»: **«أقاربي أقاربي / هم أهلُ أمّي و أبي / أعزّهم لأنّهم / صدرُفضائي الأرحبِ / ألوذُ فيهم رحمةً / لوذَ الهوى بالأدبِ»** (المصدر نفسه: ٢٢). وفي هذه القصيدة، يركّز الشاعر على واحدة من أهم القيم التربوية الاجتماعية، وهي صلة الرحم، التي اشتُقّت تسميتها من أسماء الله تعالى: الرحمن والرحيم. وغرس هذه القيمة في نفوس الأطفال في عمر مبكر يعود بنتائج إيجابية، لأن الطفل الذي ينشأ على احترام الأقارب ومحبّتهم يصبح أكثر تماسكاً في تعامله الاجتماعي وقدرته على حلّ الخلافات دون تضخيمها. ويرى الشاعر في الأقارب ملاذاً نفسياً وعاطفياً، فهم صدر فضائه الأرحب، وقد وظّف في ذلك آلية التكرار في بداية القصيدة لتثبيت قيمة الأقارب في ذهن الطفل، والاستعارة بجعل الأقارب فضاءً أوسع وملاذاً للأدب، مما يُضفي على العلاقة العائلية بُعداً روحياً. وقد أكّد الإسلام على أهمية هذه القيمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (الأنفال: ٧٥)، مما يعزّز هذا التوجّه التربوي في شعر الأطفال.

وفي حثّه على التماسك الاجتماعي وروح الإخاء، يوصي الشاعر بالجار، مذكّراً بحقوقه، حيث يقول: **«سألتُ الأهلَ عن جاري / وعمّا دائماً يلقى / فإنْ آذوهُ آذوني / وأمسوا كلُّهم حمقى / وإنْ حّبوهُ حبّوني / وأصبحَ بثُّهم شوقاً / فزدتُ لحبهم حباً / وفي التّحبابِ كم نرقى / فخيرُالنّاسِ في جارٍ/ بغيرِ الودَّ لا يُسقى / تحمّلَ رغمَ عزّته / لآلامٍ بها يشقى / لينظرِ في غدٍ خيراً / وغيرَ الحقَّ لن يبقى»** (السلطاني، ٢٠٠٨م: ٤٩). وفي هذه الأبيات، يتناول الشاعر قيمة احترام الجار، وهي من القيم التي دعا إليها الإسلام بشدّة، لما لها من أثر كبير في بناء تضامن اجتماعي متماسك، فالجار هو أقرب الناس مكاناً، وقد يكون أقرب حتى من الأقارب في بعض الظروف. وقد ورد عن رسول الله (ص): «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه» (ابن أبي الحديد، ١٤٠٤ق: ٨). وقد وظّف الشاعر المقابلة «إن آذوه آذوني / وإن حبّوه حبّوني» لتوضيح علاقة الترابط بين الجار والمجتمع،

وحسن الختام في قوله «غيرَ الحقَّ لن يبقى» لتثبيت مبدأ العدل والإنصاف. وهكذا يسعى السلطاني إلى ترسيخ هذه المفاهيم في عقل الطفل، ليُنشئه على حبّ الجار والدفاع عنه، والفرح لفرحه والحزن لحزنه، والإحسان إليه والابتعاد عن إيذائه، فهذه السلوكيات تُثمر مجتمعاً مترابطاً متحابّاً.

٣-٢-٢. حبّ الوطن

مما لا شك فيه أن الوطن هو الأم الغالية، وهو روح الإنسان وكيانه، وقد عدّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حبّ الوطن من الإيمان (أبو الفتوح الرازي، ١٤٠٨ق، ج١٧: ٢٩٩). والأطفال في مراحلهم العمرية الأولى، وفي كلّ الأزمان والأمصار، تتشابه مشاعرهم وعواطفهم، فحين يُعبّر الشاعر عن حبّ البيت والأسرة في شعره، فإنه في الحقيقة يزرع بذور حبّ الوطن في نفوسهم، وهي شعور حنيني يستقرّ في الذاكرة الطفولية لينمو في مرحلة الشباب والرشد، ويُشعر الطفل بالفخر والاعتزاز بالانتماء إلى أرضٍ وسماءٍ تليق به. من هذا المنطلق، يصف الشاعر الوطن وخيراته بعبارات جزلة لطيفة، حيث يقول: «**هيّا نحبُّ للوطنْ / فهو الحنونُ المؤتمنْ / وهو الذي يضمّنا / ضمَّ الغصونِ للفنْ / به عرفتُ للمنى / وفي تقادمِ الزمنْ / فالماءُ في شلالهِ / به العيونُ تُفتنْ / والخيرُ في ربوعهِ / بهِ القلوبُ تُمتحنْ / والوردُ عزيزاً كالرُّبى / يا موطني رغمَ المحنْ / فأنتَ آياتُ الإبا / والرّوحُ في كنهِ البدنْ**» (السلطاني، ٢٠٠٨م: ١٧). ويُحاول الشاعر ترسيخ حبّ الوطن في نفوس الأطفال، فهو أساس مهمّ تُبنى عليه الأخلاق، إذ إنّ من يُحب وطنه يعمل بجدٍ وإخلاصٍ وتفانٍ في أداء واجباته، ولا يمكن أن تُبنى الأوطان بسواعد الأبناء غير البارّين، فالوطن بمنزلة الأم والأب، ومن لم يكن بارّاً به فقد عقّه. ويُبرّر الشاعر هذا الحبّ من خلال ذكر العطايا التي يُقدّمها الوطن لأبنائه؛ فشذا الوطن يفوح في كل أرجائه، ويملأ النفس حبّاً وارتباطاً ووفاءً. وقد وظّف الشاعر في هذا المقتبس النداء «هيّا نحبّ» لاستثارة همّة الطفل نحو حبّ الوطن، والتشبيه «ضمّ الغصون للفن» لتجسيد حنوّ الوطن وحضنه الدافئ، والتصوير الحسي للماء والشلال والورد والربى، لربط حبّ الوطن بالمشاعر الجمالية التي تترك أثراً في نفس الطفل.

وفي قصيدة «علم بلادي» يقول صادحاً: «**رفرفْ لنا رفرفْ / يا عالياً عالي / فكلّنا نهتفْ / نفديكَ يا غالي / رفرفْ وحيّنا / تزهو رباوينا / فالشّمسُ في شوقٍ / قد أشرقتْ فينا / رفرفْ على الزهرِ / والشطِّ والنهرِ / فالعطرُ في أرضي / مع الهوا يسري / فاسلمْ لنا فاسلمْ / يحميكَ منّا الدمْ / يا رمزنا الأوفى / وحبّنا الأعظمْ**» (المصدر نفسه: ١٤). حيث يُعبّر الشاعر عن رمزية العلم الوطني الذي يُعدّ من أبرز رموز الهوية والانتماء، فهو الراية التي تُوحّد أبناء الوطن تحت شعار واحد، ورمز السيادة والكرامة، فهو نبض الأرض ودماء الأوفياء الذين يفدونه بأرواحهم. وقد وظّف الشاعر النداء المتكرر «رفرفْ» لإضفاء روح الحماسة والحيوية والخطاب المباشر مع الأطفال لترسيخ مفهوم التضحية والفداء، كما ربط بين العلم والطبيعة «الزهر، الشط، النهر، العطر» لجعل العلم جزءاً من جماليات الوطن، مما يُقرّب قيمته إلى قلب الطفل. وهكذا يسعى الشاعر من خلال هذه الأبيات إلى غرس قيمة الاعتزاز بالعلم الوطني في نفوس الأطفال، وتوعيتهم بأنّ هذا العلم يُمثّل وجود وطنهم على خارطة العالم، وأنّ رفعه عالياً خفّاقاً هو عنوان الكرامة والسيادة والاستقلال.

٣-٢-٣. حبُّ العِلم والمعلم

تبرز المنظومة التعليمية بجميع عناصرها - من المعلم، والكتاب، والمدرسة - من أهم مصادر بناء المجتمع، وقد أدركت الدول المتقدمة أهمية هذه المنظومة فاستثمرت فيها وقطفت ثمارها سريعاً. والشعراء، بدورهم، لم يُغفلوا هذا الجانب، فحرصوا على غرس حبّ العلم والمعلم في نفوس الأطفال لخلق جيل واعٍ ومبدع. وقد أكّد السلطاني على الدور البناء للمعلم ومحاولاته الإصلاحية والإرشادية للجيل الناشئ، حيث يأخذهم من الصغر نحو آفاق العلم والمعرفة، فظهر تكريم المعلم وعلوّ مقامه في شعره، إذ يقول: «**معلّمي معلّمي / أرشدَ خيراً قلمي / علّمني بما وعى / وذاقَ عذبهُ فمي / فالرّوحُ حينما سقى / كانت بلهفةِ الضمي / لولاه كنّا كلنا / في الأرضِ أشباهَ العمي / من بعد ربّي و أبي / في علمِه سأحتمي / معلّمي وقدوتي / يجري بحبّه دمي / فذكره في خاطري / وشكرُه في مبسمي**» (السلطاني، ٢٠١٩م: ١٨). فالمعلم هو القدوة السليمة التي يُحَبّ ويُطاع، وترتع قلوب الأطفال بالحنان والقيم بتربيته السليمة وجهده الوافر، لذا فإن حبّه يسري في خلايا الأطفال ويُغذيهم، كما يقول في قصيدة أخرى: «**معلّمي معلّمي / من عذبه سقا فمي / فجادَ في تعلّمي / وزادَ في تكرّمي / بحبّه جرى دمي / وشكره في مبسمي**» (السلطاني، ٢٠١٦م: ٢٣). وبهذا النغم المنساب في روح الطفل، وبهذه المفردات السهلة الواضحة، يحطّ الشاعر يدَه على وجوب شكر المعلم ودوره المهم والخطير، ليغرس هذه القيمة العظيمة وهي وجوب الشكران والتقدير وعرفان حق المعلم في المجتمع. وقد وظّف الشاعر في هاتين القصيدتين النداء المباشر والمتكرر «معلّمي» لتأكيد القرب والحبّ، و التضاد «لولاه كنّا أشباه العمي» لإبراز فضل المعلم في إنقاذ الطفل من الجهل، والتشبيه البلاغي «كالماء للعطشان» في تصويره للمعلم كمصدر حياة للروح. من هنا يوظف الشاعر عدة آليات لفظية ونفسية ليعمّق الأثر على الطفل ويبني قيمة شكر المعلم وحب العلم في كيانه.

علاوة على ذلك، هناك حضور فعّال في شعر السلطاني للكتاب والقراءة، فيراهما الصديق الأعز ونور عيون الأطفال لتغيير حال المجتمع نحو العلم والمعرفة وتجاوز الجهل والخطيئة، ففي قصيدة «كتابي» يقول: «**كتابي صديقي / ونعمَ الصديقُ / أضاءَ بعيني / مسارَ الطريقْ / أراه جميلاً / لطيفاً أنيقاً / به شعَّ دومًا / ضياءُ البريقْ / وأوقدَ في الجهلِ / نارَ الحريقْ / وكم قد هداني / بنورٍ رقيقْ / إلى كلِّ خيرٍ / وعزمٍ وثيقْ / وأغنى فؤادي / بفكرٍ عميقْ**» (المصدر نفسه: ٢٣). فحتى العناوين عنده تختار بدقة لتغرس هذه القيمة الرائعة والمهمة في نفوس الأطفال، لأن العنوان هو «أول مثير أسلوبي تصطدم به عين المتلقي» (المرسومي، ٢٠١٥م: ١٥٩). وبذلك تظهر قدرته على انجذاب القارئ وانشداده نحو الفكرة والموضوع. ومن خلال العنوان يشتطيع القارئ أن يصل إلى هوية القصيدة والاندماج مع فكرة الشاعر وهوية النص الشعري. فمن خلال ذلك تدلّ المفردات على عمق الرؤية التربوية للشاعر، حيث يرسم الكتاب وهو ضوء الطريق والمنجي من الضلال، لأنه يمزق الجهل ويشد وثاق العزيمة عند الإنسان ويهديه الفكرة العميقة ليصبح إنساناً معرفياً عالماً بأمور حياته. ثم يضيف الشاعر في قطعة أخرى: «**قراءتي محبوبةْ / واضحةٌ مكتوبةْ / فيها أنا مسرورُ / في سِحرها مبهورُ / دروسها عديدةْ / وكلُّها مفيدةْ / تحملُ في طيّاتها / من قصصٍ فريدةْ / نحن بها سُعدنا / مما بها وجدنا / الخيرَ والنصيحةْ / والكلمةَ الفصيحةْ / والحكمةَ الكريمةْ / من أمّةٍ عظيمةْ**» (السلطاني، ٢٠٠٨م: ٤). فيبرز الخير كلّه في الكتاب وفي قراءته والتطلّع نحو الآثار الجميلة ورحلة القراءة، وفي هاتين القصيدتين يركّز الشاعر على عنصرين رئيسيين من عناصر المعرفة وهما الكتاب

والقراءة، إذ يصوّر الكتاب كالصديق المخلص الذي لا يخون، بل يضيء الطريق ويشعل نور الفهم والعلم في وجه الجهل، ويشبّهه بالمصباح الذي ينير الظلمة ويغني القلب والفكر بمعاني الخير والعزيمة. وقد وظّف في ذلك التشخيص بجعل الكتاب صديقاً، والاستعارة «أوقدَ في الجهلِ نارَ الحريق» لتصوير أثر القراءة في محو الجهل، و التكرار الصوتي في القافية الموحّدة لإضفاء جرس شعري يُثبت المعنى في ذهن الطفل. وفي قصيدة «قراءتي» يبرز قيمة المطالعة وما تحمله من فوائد تربوية وثقافية، حيث تصحب الطفل في رحلة مشوّقة عبر القصص والحكم والأمثال التي تنمّي الفكر والسلوك.

وفي مواصلة حثّه على المطالعة والفحص في الكتب، يبرز دور المدرسة حيث يقول: «**مدرستي مدرستي / أحبها كإخوتي / فيها وجدتُ راحتي / وفرحتي وعزتي / فالعلْمُ فيها متعتي / وهو ينيرُ فكرتي / نحو كنوزِ أمتي**» (السلطاني، ٢٠١٦م: ٢٦). ففي هذا المقتبس، يُقدّم الشاعر المدرسة بوصفها حضناً تربوياً دافئاً لا يقلّ حبّاً عن البيت والإخوة، وهي مكان الأمان والفرح والعزة، يعكس النص العلاقة العاطفية بين الطفل والمدرسة، خاصة في المراحل الأولى التي قد تُثير في الأطفال شعوراً بالخوف أو القلق من البيئة الجديدة، فيحرص الشاعر على أن يرسم في ذهن الطفل صورة محببة عن المدرسة، تُثير فيه حبّ التعلّم والانتماء، وتكسر حاجز الرهبة في سنواته الأولى، فينمو على أن العلم مفتاح عزة الأمم وكنز المستقبل. وقد استخدم في ذلك النداء المتكرر «مدرستي» والتشبيه «كإخوتي» لتأكيد الألفة، والربط بين العلم والعزة لتحفيز الطفل على التعلّم كوسيلة للانتماء والفخر. وفي لمحة معبّرة، يشير السلطاني إلى لزوم معرفة كنوز الأمة، وهو دور أصيل تقوم به المدرسة وتربط الجيل الحاضر بالماضي وتراثه العريق، وتنفي التفكك عن الأمة وأجيالها.

الخاتمة

يُعدّ شعر حسين عطية السلطاني نموذجاً رائداً في أدب الطفل، إذ أثبت قدرة الشعر على أن يكون أداة فاعلة في التربية العقدية والاجتماعية، قابلة للاستثمار في تطوير المناهج التربوية والأدبية، كما كشفت الدراسة عن قدرة الشاعر على توظيف موروثه الديني وثقافته الإسلامية في بناء طفل متوازن عقائدياً واجتماعياً، بأسلوب يجمع بين البساطة والمتعة، والإمتاع والإقناع، مما يجعله نموذجاً يُحتذى به في شعر الطفل المعاصر.

وتمثلت أبرز القيم التربوية التي تضمنها شعر حسين عطية السلطاني الموجه للأطفال في القيم الدينية، التي تجلت في التوحيد، وحب الإسلام والقرآن، ومعرفة النبي وأهل البيت، والحث على الصلاة والفرائض، إلى جانب القيم الاجتماعية التي تمحورت حول الترابط الأسري، وصلة الرحم، وحق الجار، وحب الوطن، وحب العلم والمعلم والكتاب والمدرسة. وقد اتسمت هذه القيم بالتكامل والانسجام، حيث جعل الشاعر الدين مرتكزاً للقيم الاجتماعية، مما يُكسب الطفل شخصية متوازنة تجمع بين العقيدة الراسخة والسلوك المجتمعي الإيجابي.

كما وظّف السلطاني مجموعة متكاملة من الآليات لإيصال هذه القيم، منها الآليات الصوتية والإيقاعية كالتكرار اللفظي والإيقاع الخفيف والقوافي الموحدة والجرس الموسيقي العذب؛ والآليات البلاغية والفنية كالتشخيص والاستعارة والتشبيه والتصوير الحسي والثنائيات المتضادة؛ والآليات التربوية والتوجيهية كالنداء المباشر والحنون، والخطاب المباشر، والتدرج المعرفي، والربط بالقدوة

والنصوص المقدسة، والمفاضلة والمقارنة، والدعاء؛ والآليات السردية والقصصية كالسرد القصصي العاطفي والترميز. وقد أسهمت هذه الآليات في جعل القيم قريبة إلى نفس الطفل، وسهلة الحفظ والفهم، ومؤثرة في وجدانه وسلوكه.

وتمكّن السلطاني من تحقيق توازن دقيق بين الغاية التربوية والجمال الفني، إذ قدّم القيم في قوالب شعرية بسيطة وموسيقية، تحمل جاذبية الأناشيد، فتثبت في الذهن بسرعة وتقدّم المعنى بشكل ترفيهي شيّق، ممّا جعل قصائده وسيلة تعليمية ممتعة ومؤثرة، وحقّق الانسجام بين المتعة والإفادة، والإمتاع والتوجيه.

قائمة المصادر والمراجع

ابن أبي الحديد، عز الدين، (١٤٠٤ق). شرح نهج البلاغة، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٤٠٥ق). لسان العرب، قم: دار أدب الحوزة.

أبو العزم، عبد الغني، (٢٠٢٤م). معجم الغني الزاهر، ط١، القاهرة: قنديل للطباعة والنشر والتوزيع.

أبو الفتوح الرازي، حسين بن علي، (١٤٠٨ق). روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، تحقيق محمدجعفر ياحقي ومحمدمهدي ناصح، مشهد: بنياد پژوهش‌هاى اسلامى آستان قدس رضوي.

أيوب، حسن، (٢٠٠٣م). السلوك الاجتماعي في الإسلام، ط٤، بيروت: دار الندوة.

بدوي، أحمد زكي، (١٩٩٣م). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت: مكتبة لبنان.

باقري، خسرو، (١٣٨٨ش). نگاهى دوباره به تعليم و تربيت اسلامى، ط١٩، تهران: انتشارات مدرسه.

الحر العاملي، محمد بن الحسن، (١٣٨٩ش). وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، طهران: المطبعة الإسلامية.

حسين عطية السلطاني، (٢٠٠٨م). من أناشيد الطفولة، بابل: دار الأرقم.

----------، (٢٠١٦م). رذاذ الشلال، القاهرة: دار الإسراء.

----------، (٢٠١٩م). زهور الربيع، ط١، بغداد: دار ثقافة الأطفال.

حليمة، مزغراني، (٢٠١٥م). أثر وسائط نقل القيم على هوية المراهق، أطروحة دكتوراه في علم النفس العيادي، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران ٢ محمد بن أحمد.

الخالدي، صلاح عبدالفتاح، (١٤٢٨ق). القرآن ونقض مطاعن الرهبان، دمشق: دار القلم.

الديب، إبراهيم رمضان، (٢٠٠٦م). أسس ومهارات بناء القيم التربوية وتطبيقاتها في العملية التعليمية، الجزائر: دار الخلدونية.

الديوب، سمر، (٢٠١٧م). الثنائيات الضديّة؛ بحث في المصطلح ودلالاته، ط١، كربلاء: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة.

ذياب، فوزية، (١٩٦٦م). القيم والعادات الاجتماعية، القاهرة: دار الكتاب العربي.

الرازي، محمد بن أبي بكر، (١٩٨٢م). مختار الصحاح، الكويت: دار الرسالة.

السعدي، حاتم جاسم عزيز، (٢٠١٣م). القيم التربوية في فكر الإمام الحسين (عليه السلام)، كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية.

صوالحة، محمد، (٢٠٠٣م). دراسة تحليلية لواقع القيم في عينة من قصص الأطفال، مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، كلية التربية، جامعة دمشق، المجلد ١، العدد ٣، صص ١٥٧-١٨٦.

الطبري، أحمد بن عبدالله، (١٤٢٧ق). ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، بيروت: دار الكتب العلمية.

عبيد، رضا علي، (٢٠٢٢م). الطبيعة في شعر حسين عطية السلطاني، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، المجلد ١، العدد ١٢، صص ٨٠-٩٠.

عبد التواب، يوسف، (٢٠٠٢م). أطفالنا وعصر العلم والمعرفة، دمشق: دار الفكر.

علي كريم، ثامر؛ رئيس ميرزائي، فاطمة، (١٤٠٣ش). سيميائية العنوان في شعر نازك الملائكة وبدر شاكر السياب دراسة مقارنة، مجلة علوم اللغة العربية، المجلد ٢، العدد ٤، صص ٨٥-١٠٦.
doi: ١٠,٢٢٠٣٤/aoa.٢٠٢٤,١٩٥٨٣٩

مجموعة من المؤلفين، (١٤٢٩ق). موسوعة أحكام الأطفال وأدلتها: مقارنة تفصيلية بين مذهب الإمامة والمذاهب الأخرى، ج ٧، قم: مركز فقهي الأئمة الأطهار (ع).

مجموعة مؤلفين، (٢٠١٩م). القيم الأسرية، ط٢، جدة: مكارم الأخلاق.

المجلسي، محمدباقر بن محمدتقي، (١٤٠٣ق). بحار الأنوار: الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ١١١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مكارم الشيرازي، ناصر، (١٣٧٩ش). الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، قم: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (ع).